



ثورة أوكرانيا البرتقالية .. أنشودة ديموقراطية عابرة؟

5

ثورات الربيع

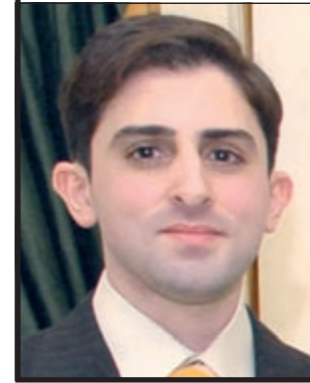
من صراع القوميات الذي تصاعد إلى حربين عالميتين، إلى صراع الأيديولوجيا الذي أدخل العالم في حرب باردة بين «الجبارين»، وصولاً إلى ما يسمى بعصر القطب الواحد والعولمة، شهد العالم ثورات وانتفاضات شعبية لن تُنسى لاسيما تلك التي اتسمت بالطابع السلمي.

بعد انتصارها في الحرب الباردة واجهت الولايات المتحدة عمليات استهداف معادية من جماعات إسلامية سبق أن دعمتها أميركا في حربها الضروس ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان. وصلت حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان عام 1994، ووفرت ملاذاً آمناً لتنظيم «القاعدة» الذي أسسه أسامة بن لادن بين عامي 1988 و1989 أعلن حربه رسمياً على الولايات المتحدة، وأولى عملياته البارزة كانت محاولة تفجير برج التجارة العالمي في 1993، ثم استهداف السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا عام 1998، قبل أن ينفذ هجمات 11 سبتمبر التي كرسست عملياً نظرية كان قد أطلقها استاذ العلوم السياسية صامويل هنتنجتون عام 1993 عن «صراع الحضارات» اعتبر فيها أنه بعد الحرب الباردة ستكون المواجهة الأعنف على أساس الحضارة، مستعرضاً عدداً من المواجهات المحتملة للحضارة الغربية مع الاسلام والحضارتين الصينية والاندوكية (الهندية). مسار الأحداث والصراع بين «القاعدة» والغرب أعطى النظرية زخماً منقطع النظير ودارت نقاشات مطولة، غالباً ما كانت تنتهي إلى أن المجتمعات الإسلامية ممانعة بحضارتها وموروثاتها للديموقراطية، مستشهدين بالثورة الإيرانية التي لم تقض إلى ديموقراطية بمفهومها الغربي رغم سلميتها، واستبعد كثير من الخبراء وبينهم هنتنجتون أن يشهد العالم العربي ثورات شبيهة بتلك الثورات التي حررت دول أوروبا الشرقية قبل وبعد سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفييتي.

رحل هنتنجتون عام 2008 قبل 3 سنوات من أحداث اجتاحت فجأة العالم العربي فيها الكثير من سمات الحركات التحررية والديموقراطية السلمية التي سبق ان شهدها الغرب بدءاً من أحداث 1968 في فرنسا إلى ربيع براغ ثم سقوط الجدار، كما لم يشهد قبل وفاته أحداث النرويج في 22 يوليو 2011 والتي تؤكد أن اليمين المسيحي ليس بأقل تطرفاً من اليمين الإسلامي. ارجاء كثيرة من العالم العربي المسلم بغالبية شهدت خروج ملايين الشباب إلى الشوارع بحماس منقطع النظير، بدأ في تونس وامتد إلى دول أخرى تحت شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» مستفيدين من ثورة التكنولوجيا القادمة من الغرب والإعلام الجديد الذي قدمته شبكة الإنترنت.

قوبلت الثورات بترحيب غربي وبذلت الدول الغربية وسفاراتها جهوداً كبيرة على غرار تلك التي بذلتها في نهاية الثمانينيات في أوروبا الشرقية. وحاولت مساعدة الثوار في أكثر من حالة كان أوضحها ليبيا على تشكيل سلطة مؤقتة بديلة تتولى المرحلة الانتقالية خلال وبعد سقوط النظام. بمناسبة ما أطلق عليه «الربيع العربي» نستعيد بالذاكرة بعض الثورات المشابهة في أوروبا والعالم خلال العقود الماضية منها الثورة المخملية في تشيكوسلوفاكيا والثورة الوردية في جورجيا والبرتقالية في أوكرانيا وثورة التوليب في قيرغيزيا وثورة البلدوز في صربيا وثورة الغناء في دول البلطيق، إضافة إلى بعض تجارب القرن الماضي في مجال النضال السلمي للحركات التحررية وصولاً إلى الثورات العربية.

● بقلم: محمد الحسيني



مظاهرات مليونية

أصاحت بيانوكوفيتش

بعد عمليات تزوير

وفرضت إعادة

الانتخابات لصالح

يوششينكو..

ثم أعاد الشعب

يانوكوفيتش

إلى السلطة



ربما تكون الثورة البرتقالية في أوكرانيا (نوفمبر 2004 - يناير 2005) الأكثر شهرة بين ثورات الألوان السلمية، فقد شهدت دوراً بارزاً للإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة التي زادت من الاهتمام والمتابعة العالميين لهذه الثورة.

بعد نحو 6 سنوات على انتهائها، المفارقة الأبرز هي أن الثورة التي انطلقت احتجاجاً على تزوير انتخابات كان هدفها فوز رئيس الوزراء آنذاك فكتور يانوكوفيتش خلفاً للرئيس ليونيد كوتشما بعد ولايتين قضاهما الأخير في السلطة على حساب المرشح الأبرز فيكتور يوششينكو الذي انتهت الثورة بتنصيبه رئيساً بعد إعادة الانتخابات، لكن الرئيس اليوم هو يانوكوفيتش الذي عاد الأوكرانيون وانتخبوه للرئاسة عام 2010 ليكون أول رئيس في أوروبا حالياً يصل إلى سدة رئاسة بلاده بعد أن قضى مدة في السجن.

هذا التغيير وضع علامات استفهام كبيرة حول جدوى الثورة خاصة بعد أن تراجعت شعبية يوششينكو بطريقة دراماتيكية خلال الأعوام التالية، لكن مؤيديها يرون أنه رغم قرار الشعب بعودة يانوكوفيتش إلا أن الثورة التي لعبت فيها وسائل الإعلام العالمية والمنظمات المدنية الدولية دوراً كبيراً أدخلت أوكرانيا في عهد ديموقراطي جديد يتسم بالشرعية والوعي الشعبي.

وعودة إلى تطورات الثورة فقد وجد يانوكوفيتش نفسه في وضع محرج فكان لجوؤه إلى التزوير أمراً حتمياً وحاول تغطية الأمر باتهام يوششينكو بالسيطرة على وسائل الإعلام التي «لم يكن لها دور سوى الحديث طوال النهار عن عمليات التزوير». في 23 نوفمبر وفي ظل تكهرب البلاد أقدم يوششينكو الذي تسيطر جماهيره على العاصمة رغم وجود قوات الأمن وأنصار قادمين من الجنوب تاييدا ليانوكوفيتش، على دخول مقر البرلمان وأداء القسم الرئاسي أمام نصف أعضاء المجلس المؤبد للمعارضة. لم يكن النصاب متوافراً لذلك ولكن الأمر انطوى على حركة منه ليظهر أنه يسيطر على مقاليد الأمور، كما كانت إشارة مهمة إلى أجهزة الأمن والجيش بضرورة النظر إليه على أنه السلطة الشرعية.

في ظل الحماس المفرط في كيبف اشتد الخناق على يانوكوفيتش الذي وجه مؤيديه للمحدث عن احتمالات الإقدام على الانفصال والفرلة إذا استمر يوششينكو في خطواته ولكن من دون جدوى.

وفي تلك الأثناء حاول الرئيس كوتشما الوصول إلى تسوية لكن الضغوط الشعبية ازدادت ولم يعد أمام يوششينكو أي فرصة للتنازل.

في الأول من ديسمبر 2004 انعقد البرلمان الأوكراني الـ «فركوفا رادا» في جلسة حضرها نواب المعارضة والمتعاطفون معهم وصوّت على رفض الحركات



فيكتور يانوكوفيتش



يوليا تيموشكو

الداعية للانفصال والفرلة وطرح الثقة بحكومة يانوكوفيتش ولكن دون جدوى، لأن حجب الثقة يستلزم توقيع الرئيس كوتشما لكنها كانت أيضاً خطوة رمزية أخرى.

في ديسمبر 2004 جاءت نذر الحل من المحكمة الدستورية العليا التي أقرت بحصول التزوير ودعت لإعادة الجولة الثانية في 26 ديسمبر 2004 ووافق البرلمان على الخطوة، فأجريت الانتخابات التي أفضت إلى حصول يوششينكو على 51,99% مقابل 44,20% لخصمه الذي تحدثت هذه المرة عن تزوير لكن لجان المراقبة الدولية والمحلية أجمعت على أن الانتخابات كانت «عادلة ونزيهة» على عكس سابقتها.

في 10 يناير أعلن فوز يوششينكو رسمياً وفي 23 منه أدلى بالقسم مجدداً أمام مئات الآلاف من أنصاره في ساحة الحرية في نهاية ما عرف بـ «الثورة البرتقالية»، التي حملته إلى السلطة هو وحليفته يوليا تيموشكو التي تولت رئاسة الوزراء بناء على اتفاق مسبق ووصفت بـ «زهرة أوروبا»، وهي اليوم قيد الملاحقة في قضايا فساد. رغم أن «الثورة البرتقالية» أحييت بهالة من المثالية إلا أن تقارير لاحقة أظهرت أنها حظيت بدعم من أجهزة أمنية داخل السلطة الأوكرانية نفسها، كانت تسعى إلى إقصاء يانوكوفيتش وحققت توازناً لأنها منعت القوات الموالية له من التحرك وهددها بـ «غرق البلاد في حمام دم» وهو ما أدى إلى بقاء الأجهزة على الحياد ومهد الطريق إلى الثورة لتتمت بسلام. وعلى المستوى السياسي لا شك في أن الولايات المتحدة والمعارضة الروسية للرئيس فلاديمير بوتن ساهمتا في دعم «الثوار البرتقالين» وتشجيعهم، ونقل أن خبراء في حملتي «كمارا» و«أوتبور» في كل من جورجيا ويوغوسلافيا كانوا متواجدين على الأرض مع أنصار يوششينكو وساهموا في تدريبهم وتحفيزهم، وفي المقابل كان يانوكوفيتش يحصل على دعم من رجال الموالاة للنظام في روسيا فيما يعكس أثر الصراع الخارجي ودوره في الثورة البرتقالية التي أحدثت ارتدادات عالمية تمتد حتى الثورات التي يشهدها العالم اليوم.

ليونيد كوتشما غادر السلطة مثقلاً بفضيحة

انتخب ليونيد كوتشما ثاني رئيس لأوكرانيا بعد استقلالها عن الاتحاد السوفييتي خلال انقراضه. حكم بلاده لولايتين بين 19 يوليو 1994 و23 يناير 2005. وقد هُزت ولايته الثانية فضيحة كبيرة عندما سرب رئيس الحزب الاشتراكي الأوكراني الكسندر موروز تسجيلاً له يتحدث فيه عن احتمال اغتيال الصحافي غريغوري غونغاذه الذي اختفى عام 2000 في ظروف غامضة ثم عثر على جثته مقطوعة الرأس.



الثورة البرتقالية انتزعت دهشة العالم



فيكتور يوششينكو